لاحقة

منظور مشهد القوة الأمريكية المتغير

الحفاظ على فاعلية الولايات المتحدة وصلتها بالأحداث

ظلت الولايات المتحدة، وطوال عقود، تستخدم الخوف من أجل تصنيع الموافقة والإجماع. وفيما قد يتذكر البعض حقبة مكارثي، فقد تم محو عمليات «اصطياد الساحرات» والقمع التي مورست ضد الشيوعيين والأناركيين من الذاكرة الجمعية الأمريكية. حينما تصاعدت توجهات الأناركيين والعمال القتالية وتعددت التفجيرات التي نفذوها، أدت الهستيريا الجمعية بالولايات المتحدة إلي صدور قانون الفتنة Sedition Act، وإلي حملات بالمر التي نجم عنها احتجازات شاملة للمثقفين والناشطين اليساريين ومحاكمتهم وترحيلهم.

obeikandl.com

ومن الأمور الدالة أيضا أن تلك الهستيريا أدت إلى أعمال عنف وقتل وإجراءات عنصرية ضد السود، قادها غالبا رجال من الجيش والشرطة. يلفت كتابا فرانك فوردى «ثقافة الخوف» (١٩٩٧) و«سياسات الخوف (٢٠٠٥)، الانتباه إلى سهولة تعرض المواطن فى العصور الحديثة للتلاعب به وقمعه وذلك بسبب اغترابه المتزايد عن مجتمعه وجاليته وجيرانه، بل وعن ذاته. كما تبدو ملاحظة محمود ممدانى عن الإرهاب حينما قال إن «الإرهاب السياسى ينجم عن فشل حكومة ما، أو فشل حركة حرب عصابات سرية فى كسب دعم المدنيين لها» تبدو وأنها تتطابق بأسلوب عكسى مع استخدام الدولة للخوف. يذهب فوردى إلى أن الخوف والاغتراب يميتان أحاسيس المواطن الحديث بآدميته، ويخلقان جمهورا طيّعا تتلاعب به الحكومات والأسواق والإعلام بسهولة وتقود خطواته. كشف الفيلم الوثائقى «قوة الكوابيس The Powerof Nightmares» بوضوح وصراحة كيف يستخدم الخوف لهندسة الموافقة

obeikandl.com

والقبول، وأوضح كيف سبق استخدام الخوف من الإسلام القتالى أو «التطرف الإسلامي» أحداث ٩/١١، وكيف خلقت الرغبة فى الإيقاع بالعرب والمسلمين وسياسات الولايات المتحدة الداخلية والدولية الحاجة إلى «الحرب على الإرهاب» وإجراءات «الأمن الداخلي» واسعة المدي. تمدنا مثل هذه الدراسات بآليات الموافقة والإجماع (التشريعات التى تطبق، والسياسات التى تبتكر وتفعل، واستمالة الإعلام). من، أجل تحقيق رؤى سياسية أوسع لمجموعات القوة.

استندت الحرب على الإرهاب إلى ما سبقها من شيطنة المسلمين وتشويه سمعتهم، ولم تكن الاستراتيجيات التى استخدمت لخلق حالة من الخوف بجديدة. وبالمثل، فإن ظهور المشاعر الفاشية المعادية للاتينيين وما واكبها من تشريعات ضدهم كان مجرد نسخة أخرى من تشكيل أيديولوجى يستخدم الخوف لتوليد إجماع على ما لابد وأن يبدو للتفكير العقلانى محض نزوات مجنونة. أكد كتابنا هذا على أن الإسلاموفوبيا

ظاهرة غُرست فى اللاوعى الثقافى الأمريكى فى فترة ما بعد الحرب الباردة بحيث أصبح هذا اللاوعى يعبر عن تلك الظاهرة. قامت أشكال الإسلاموفوبيا الراهنة باستخدام حطام النماذج المعيارية الاستشراقية التى كان إدوارد سعيد وآخرون قد نجحوا فى تقويضها، وأعيد تشكيلها لتتسق بخاصة مع التحولات الراديكالية فى القوة والسلطة والسياسة والاقتصاد بعد نهاية الحرب الباردة. قامت الشبكات غير محددة المعالم من المنظرين والسياسيين ومراكز الدراسات والمؤتمرات ومجموعات الفعل السياسى ونشطاء الصحفيين والأكاديميين المنجورين واللوبيهات ومجموعات المصالح الشركاتية ومعهم إعلام التيار السائد وأفلام هوليوود، قاموا برعاية النماذج المعيارية للإسلاموفوبيا وجعلوا منها أساليب متسقة استُخدمت فى تحليلات الشرق الأوسط فى التسعينيات، كما عمل فريد زكريا وبرنارد لويس وغيرهم من أمثال فؤاد عجمى وتشارلس كراوثامر وتوماس فريدمان على التعبير عن بُنى الإسلاموفوبيا الأيديولوجية وجعلوا منها أنظمة منطقية مُغلقة تتسق بسلاسة مع مصالح الولايات المتحدة فى المنطقة. نمت الإسلاموفوبيا على أيدى مفكرين «مصدّقين» وشبكات سياسية ومناصرين نشطاء بالكونجرس. ناهيك عن البيت الأبيض ومجلس الوزراء لتصبح وسيلة شبه عقلانية وتاريخية وثقافية مزيفة يفهم من خلالها كُنه المسلمين. علاوة على ذلك، فإن هذا الفهم المزعوم والزائف لنقائص المسلمين وتخلف الإسلام أكسب دور الولايات المتحدة الجديد فى العالم الإسلامى أهمية كبرى بحيث تمكّن المحافظون والليبراليون، وإدارات كلينتون وبوش وأوباما، ومشروع القرن الأمريكى الجديد، ومعهد الأمريكان إنتربراين، ومجلس العلاقات الخارجية، ومعهد البروجرسيف بوليسي، تمكنوا جميعهم من الاتفاق على أن الولايات المتحدة تتحمل العبء الأخلاقى للإتيان بالحضارة إلى الشرق الأوسط.

المقاومة التى يخوضها المسلمون والعرب الأمريكيون:

ما الحرب على الإرهاب إلا نقطة النهاية المنطقية للإسلاموفوبيا فى الولايات المتحدة، لكن اغتراب الجاليات العربية والإسلامية الأمريكية وعزلتهم كانت قد بدأت قبل ٩/١١ بفترة . تبين الباحثة نادين نابر أن نظام سياسات الحكومات المحلية

والولايات، والحكومة الفدرالية عمل على تمييز «المسلم/ الآخر» بصفته «العدو الداخلي الموجود بيننا»، تقول إن جعل المسلمين «آخرين» يأتي في إطار متتالية تاريخية مترابطة للعرق والتاريخ السياسي للولايات المتحدة. لكن حدث أيضا أن أطيافا من الجاليات غير الإسلامية من ذوي البشرة السمراء تم تضمينها مع المسلمين من خلال الحرب على الإرهاب، حيث كان للسياسات الفدرالية والوسم العرقي، والإسلاموفوبيا الثقافية والتنميطات الإعلامية عظيم الأثر السلبي على المسيحيين العرب واليهود الإيرانيين واللاتينيين، بين آخرين، مما يوضح أن الخطابات السائدة عن الإسلام والمسلمين بالولايات المتحدة لا تتميز فقط بالمرونة وعدم التحديد بل إنها أيضا اعتباطية وخيالية في أفضل الأحوال. أوضحت أبحاث كثيرة، أكاديمية ومن التيار السائد، التنوعات داخل الجالية العربية الإسلامية الأمريكية، وناقشت الأجيال الجديدة من الأئمة والباحثين والفنانين والكتاب والناشطين المنتمين إلى تلك الجاليات، وديناميات المجموعات الشبابية المتنوعة، والمجموعات الإثنية الفرعية والاختلافات الطبقية الموجودة بين هؤلاء في أنحاء أمريكا الشمالية. منذ ٩/١١، تم إجراء عدد كبير من الدراسات الديموغرافية التي تتعاطى مع ظلال الفروق والاختلافات والتوجهات والتطورات داخل الجالية العربية والإسلامية الأمريكية. وأوضحت بعضها بإقناع ومنهجية ليس فقط وجود تمايزات بين تلك المجموعات، بل أيضا فروق معالجة قضايا الجندر، والفروق الطبقية والسياسية والعمرية في نطاق تلك الجاليات. علاوة على ذلك، ركزت تلك الدراسات على أن التنوعات داخل تلك الجاليات لا تعكس فقط تغيرا عاما في الديموغرافية داخل الولايات المتحدة بل توضح أيضا أن المسلمين الأمريكيين أنفسهم يكادون يكونون نموذجا للمواطن الأمريكي «عبر الدولي» الجديد.

ناقش بحثنا هذا نمو الجاليات العربية والإسلامية الأميركية وأساليب حشدها وإعدادها لمختلف الأنشطة، والتلاحم بينها، وكيف شهدت توجهات التعامل مع نظرائهم المسيحيين والهندوس واليهود والارتباط بهم كثيرا من التحولات. وفيما يستخدم الكثيرون قضايا النساء لوسم المسلمين واستهدافهم، فقد تعاطى الرجال والنساء العرب والمسلمون أنفسهم مع قضايا المساواة بين النوعين، والهوية الدينية والإثنية

والعرقية والفروق الاقتصادية بين الرجال والنساء، والتعليم، وصحة النساء، والعنف المنزلي، كما عمل صعود العولمة وتداعياتها على زيادة جهد الناشطات المسلمات، ولم يجبرهن حصار جالياتهن أو يغريهن على التواطؤ مع حملة «صيد الساحرات» بدافع الإسلاموفوبيا، أو مخططاتها، أو نشطائها، أو على الإذعان لبطريركية جالياتهن. الأحري، فقد رفضت النساء المسلمات أن تخطف الجماعات النسوية لأمريكا البيضاء التى تعمل فى إطار من الإسلاموفوبيا، أو مرتزقة اليمين من أمثال هيرسى على ومنجي، تخطف مسيرة تحررهن.

وفى واقع الأمر، لا يعرف المسلمون والعرب الأمريكيون الكل أو الملل فى محاولاتهم لإسماع أصواتهم بخصوص الخطابات العنصرية وما يتعرضون له من تمييز واضطهاد منذ ٩/١١. ظهرت إصدارات كثيرة تعرِض قصصا مقنعة مؤثرة لأحاسيس الخوف والحصار والتهديد، وأيضا لمشاعر المقاومة والتحدى والبهجة فى أوساط الجاليات العربية والمسلمة الأمريكية. قبل ٩/١١، عبّر شعراء العرب والمسلمين الأمريكيين والكنديين، وموسيقيوهم من أمثال سهير حماد وفرقتى نارسيست وأيرون شيخ لموسيقى الراب، ناهيك عن فرق الأندرجراوند الساخرة من أمثال Group X، عبروا عن نقدهم لكراهية العرب والإسلاموفوبيا، وقد أصبحت أعمالهم الآن مباشرة وأكثر صراحة وزخماً، ولم يكن من قبيل الصدفة أن تفجّر غضب الفرق الغنائية من أمثال «الفدائيين»، و«كومينساس» البنجابية وفرق الراب الأخري، مع حسهم الساخر الفكاهى والتى زادت أعدادها بعد ٩/١١، حيث يعبر هؤلاء عن جيل من العرب والمسلمين الأمريكيين شبوا فى زمن أحادية القطب الذى تستهدف فيه الإسلاموفوبيا المسلمين بسبب دينهم وثقافتهم بدلا من استهدافها العرب فى الجيل السابق بسبب توجهاتهم اليسارية الراديكالية.

وفى واقع الأمر، فإن هؤلاء الفنانين أكثر مواكبة للثقل الأيديولوجى الكامل للإسلاموفوبيا بما يفوق كثيرا المجموعات الإسلامية والعربية التى تسعى إلى التماثل والتكيف كما تمثلها أعمال وكتابات بعض تنظيمات تلك الجاليات ونشطائها. مازال كثير ممن نصّبوا أنفسهم قادة للجاليات من أمثال چيمس زغبي، وراى حنانيا

والتنظيمات من أمثال المعهد العربى الأمريكي، واللجنة العربية الأمريكية لمناهضة التمييز ADC ومجلس شورى جنوب كاليفورنيا، بل وحتى CAIR وجمعية شمال أمريكا الإسلامية اللتين تستهدفهما وزارة العدل والإف بى آى – مازالوا يعتقدون أن حوارهم مع الحكومة الفدرالية يجعلهم جزءا من الحل. وفيما تحتج تلك «القيادات» على الوسم العرقى للمسلمين واستهدافهم، فإنهم يعملون مع الإف بى آى ووزارتى العدل والخارجية على أمل إثبات ولاءاتهم لأمريكا. ثمة الكثير من المجموعات العربية والإسلامية ظلت مشغولة بالدفاع عن امتيازاتها كأثرياء شبه بيض، بدلا من أن تتحدى بنية الإسلاموفوبيا الأيديولوجية التى تصورهم فى وضع العدو الداخلي، ويفضل هؤلاء التركيز على السياسات الانتخابية والأنشطة داخل الأحزاب ذاتها التى تتغاضى عن قصف المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين واجتياح أفغانسان والعراق واحتلالهما. وبتحديد أكثر، يسعى زغبى وتنظيمات التيار السائد العربية الأمريكية إلى الانخراط فى النظام السياسى الأمريكي، ويلتمسون المترشحين على أساس الدين والأصول العرقية للترويج لهم حتى وإن كان هؤلاء المرشحون من أمثال راى لحود وتشارلس بستانى يحاولون إخفاء جذورهم العربية. تسعى معظم المجموعات العربية والإسلامية من خلال أنشطتها إلى علاج التحيز والتعصب لكنهم لا يبذلون أى جهد للتعاطى مع أصول الإسلاموفوبيا، وأهدافها وتداعياتها الكاملة. بل فى واقع الأمر، تشجع كثير من التنظيمات العربية والمسلمة المساجد والأفراد على مساعدة الإف بى آى فى جهوده من أجل الوسم العرقى والرقابة واستهداف أعضاء الجالية.

يعمل بعض دعاة الاندماج والذوبان من أمثال رضا أصلان، بجدٍ واجتهاد للدفاع عن عدالة أمريكا البيضاء المتأصلة، ويؤكدون أن «الأمريكيين الحق يعتقدون أنه لا ينبغى أن يكون ثمة صراع بين الهوية الدينية للأفراد، وهويتهم القومية». ويحتفى آخرون، مثل داليا مجاهد، بالنتائج «المدهشة» لاستطلاع جالوب الذى يثبت أنه «على حين أن للمسلمين مواقف سلبية إزاء سياسات الغرب الخارجية فإن مواقفهم من الغرب أكثر إيجابية». وفى ذات الوقت الذى من المفترض أن يشعر المسلمون والعرب بأن استطلاع جالوب قد برأهم من تبنى معتقدات عنصرية تناظر الإسلاموفوبيا

الثقافية، تم وضع تشريع جديد فى ظل أوباما لزيادة استهداف الجاليات المسلمة ووسمها وإضفاء الصبغة القانونية على تلك الإجراءات. يسمح هذا التشريع الجديد لبرنامج الإف بى آى للرقابة الداخلية بجمع المعلومات الإثنية والدينية عن الجاليات، مما يعنى جوهريا إضفاء المشروعية على التجسس على معاملات الأفراد المالية، وكيفية قضائهم إجازاتهم وأماكنها، وارتباطاتهم السياسية والدينية والاجتماعية ووظائفهم ومهنهم. يتحدى الناشطون المسلمون، بقيادة فرحانة خيرة، واللجنة العربية الأمريكية لمناهضة التمييز قانونية خطة الإف بى آى لوضع خريطة معلومات إثنية وعرقية لمجموعات الأقلية ومشروعيتها.

الإسلام السياسى كتشكيل أيديولوجي:

تعتبر محنة العرب والمسلمين بالولايات المتحدة، ورغم كل المظالم التى يعانون منها والانتهاكات لحقوقهم المدنية، أخف وطأة من تداعيات الإسلاموفوبيا على شعوب العالم الإسلامي. قد يرى الكثيرون هذا الكتاب وأنه دعوة ضد حق الولايات المتحدة فى «الدفاع» عن نفسها فى أعقاب هجمة غير مسوغة، وقد يراه آخرون تبريرا للتوجهات «المتطرفة». بيد أنه لا هذا ولا ذاك. يهدف هذا الكتاب إلى التأكيد على أن الإسلاموفوبيا كتشكيل أيديولوجى تمد السياسات الأمريكية فى الشرق الأوسط والعالم الإسلامى ببنيتها ومسوغاتها، وأن هذا يستحث المسلمين، بأسلوب حتمي، لممارسة الضغط المعاكس. ظل الإسلام السياسى لعدة عقود شكلا من أشكال الضغط المعاكس، ومن ثم، ينبغى علينا أن نفهمه بصفته هذه على أنه ظاهرة سياسية، رد فعل على ما أوقعته الحداثة والرأسمالية والديكتاتورية والسيطرة السوفييتية والهيمنة الأمريكية من تدمير وسلب ونهب. ومثلما ينبغى فهم الإسلاموفوبيا على أنها تشكيل أيديولوجي فى إطار أيديولوجيا أكثر شمولا «للرأسمالية الأمريكية المعولمة ما بعد الصناعية (أى الإمبراطورية) يجب فهم الإسلام السياسى بصفته تركيبة أيديولوجية تختلف عما سبقها من أيديولوجيات إسلامية».

تم إضفاء كثير من المصداقية على المقولة الظنية التى تذهب إلى أن «جزءا من جاذبية الأصولية الإسلامية فى العالم الإسلامى مردّه إلى أن تلك الجماعات تقوم بتوفير

المزايا الاقتصادية والخدمات الاجتماعية التى لا تقوم الدولة بتوفيرها». وفيما أن تلك المقولة تتضمن بعض العناصر الصائبة إلا أنها تظل اختزالا كسولا يروجه الليبراليون الذين يدفعون بأجندة القوة الذكية. ما لا يعترف به الكثيرون علناً هو أن الإسلام السياسي، فى مختلف الظروف والأحوال، يتيح للكثيرين نموذجا معياريا سياسيا بديلا لقيود العولمة النيوليبرالية الخانقة. وفى واقع الأمر، فقد تم تشويه صورة البدائل اليسارية، العلمانية والاشتراكية، طوال العقود الثلاثة الأخيرة فى العالم العربي، ويتحمل القادة العرب جزءا من المسئولية عن هذا. فبعد أن استولوا على السلطة فى حقبة ما بعد الكلونيالية من النخب الحاكمة المتعفنة الفاسدة والأوليجاركيات الملكية، بل ومن الأنظمة الكلونيالية ذاتها أحيانا، عملت الأنظمة العربية القومية بدءا من الجزائر وإلى العراق، على توفير الحريات والحياة الكريمة للمواطنين بمن فيهم الفلاحون والعمال من خلال برامج تضمنت إعادة توزيع الأراضي، وتأميم الموارد والصناعات الحيوية وإتاحة خدمات الدولة لجميع المواطنين بمن فيهم الشرائح التى تجاهلها الحكام السابقون وبخاصة خدمات التعليم والرعاية الصحية. بيد أن هذه الأنظمة تحولت وتحت تأثير عيوب نموذج التخطيط المركزى السوفييتى ومركزية الدولة السياسية، والخوف من الفتنة والانشقاقات المخططة والممولة من الخارج، تحولت إلى نخب حاكمة متحجرة، وانحصر اهتمامها فى إطالة عمر الأحزاب المسيطرة بأكثر من اهتمامها بالعروبة والاشتراكية التى قامت عليها هذه الأحزاب بل وكانت مبررات حكمها ووصولها إلى السلطة. أيضا، لا يجب إغفال تأثير الحملة المستدامة المحمومة الناجعة التى شنتها الولايات المتحدة لتشويه مُثل العروبة والاشتراكية من أجل تقويض الحركات والأنظمة العلمانية. رأينا كيف شجع «منحنى الأزمة» لبرنارد لويس تنامى الإسلام السياسى مثلما شجعت الحكومة الإسرائيلية ظهور حماس وتناميها فى ثمانينيات القرن الماضى من أجل تقويض منظمة التحرير العلمانية.

ليست جاذبية الإسلام السياسى فقط نتيجة للخدمات التى يوفرها حزب الله وحماس، والتى لا توفرها الدولة اللبنانية أو السلطة الفلسطينية البائسة سوى بأسلوب نزواتى غير كفء. كما أن الإسلام السياسى ليس ظاهرة واحدة فريدة

إذ إن حزب الله الشيعي، وحركة حماس السنية، واللذين دائما ما يُقرن بينهما، يختلفان اختلافا كبيرا من حيث أجندتاهما السياسيتان اللتان تشكل جوهرهما الأوضاع والضرورات السياسية والاقتصادية المحلية وليس الكراهية العدائية المتخيلة للغرب والحداثة. وبالمثل تختلف أجندة جبهة الإنقاذ الإسلامى الجزائرية التى حُرِمت من فوزها فى انتخابات عام ١٩٩٢ وحظر عليها المشاركة السياسية فى التيار السائد، تختلف من حيث أجندتها وممارساتها ومستويات اندماجها السياسى عن حزب العدالة والتنمية المغربي. علاوة على ذلك، فإن ثمة اشتقاقات للإخوان المسلمين وحماس وحزب الله فى سوريا والأردن وغيرها لكن كل منها شهد تغييرات مستقلة عن بعضها منذ التسعينيات. تطورت حركة الإخوان المسلمين فى مصر والأردن من تنظيمات قتالية سرية إلى أحزاب سياسية لها تمثيلات برلمانية غير رسمية ونفوذ فى الأنشطة السياسية بالشارع. بيد أننا لا نهدف من طرح تلك البنية الموجزة عن الإسلام السياسى فى الشرق الأوسط الدفاع عن الأجندات المتنوعة لتلك الأحزاب والحركات وعن برامجها السياسية أمام الجمهور العربي. الأحرى أن هدف هذا الكتاب هو التنقيب الصادق الناقد فى ترسيبات الإسلاموفوبيا المهيمنة على ثقافة التيار السائد السياسية وكيفية توظيفها ذريعة أيديولوجية تمكن الدولة من التحكم فى مواطنيها بالداخل، وممارسة سطوة الولايات المتحدة غير المكبوحة على مستوى الكوكب.

ومن هذا المنطلق، لا يمكن فصل الإسلاموفوبيا بصفتها بندا رئيسياً فى سطوة الولايات المتحدة أحادية القطب وركيزة لها، فصلها عن الإسلام السياسي. يُرجِع الليبراليون جاذبية تنظيمات «الأصولية الإسلامية» إلى حقيقة أن هذه التنظيمات تضطلع بالمهام التى لا تؤديها النخب الحاكمة الفاسدة المتعفنة وليس لأية جاذبية متأصلة فى الإسلام السياسى ذاته؛ وهم فى هذا يسعون إلى تبرير تكتيكاتهم ذات الدوافع الأيديولوجية لمزيد من التدخلات فى سياسات ومجتمعات واقتصادات وعقول شعوب الجنوب، ويتجاهلون قدرة هذه الشعوب على التنمية الذاتية وحقها فى تقرير مصائرها. وفى واقع الأمر، فإن معظم السياسات الأمريكية ضد المسلمين لا تُوجه

إليهم بشكل حصري. بيد أنه، وفى زمن العولمة هذا، فإن المسلمين يمثلون شعوب العالم من غير الجنس الأبيض، ويشكلون عقبة رمزية وواقعية فى آن أمام توسع النيوليبرالية غير المكبوح، وفى مواجهة سطوة الولايات المتحدة السياسية والاقتصادية، والنخب الحاكمة التى تتآمر معهم. وعلى حين أن ثمة أمريكيين كثيرين «يدافعون» عن الإسلام بصفته «دين سلام» بناء على افتراضهم أنه عقيدة لا علاقة لها بشئون الدنيا مثل العقيدتين التوحيديتين الإبراهيميتين الأخريين، فإن هذه الإيماءة وعلى الرغم من نبلها فى حد ذاتها، هى إيماءة عنصرية ذات مركزية غربية غير ملمة بما تقتضيه العقيدة الإسلامية وبخاصة ما يقتضيه ما يسمى بالإسلام السياسي. مما لا ريب فيه أنه ليس ثمة ما هو غامض مستعص على الفهم فى الإسلام بأكثر من الأديان الأخرى بما فيها اليهودية والمسيحية. بيد أن وجه العملة الآخر الذى يجعل منه الغرب وسيلة للدفع قدما بأجندته السياسية والاقتصادية، هو أن المسلمين يجدون فى الإسلام وسيلة للدفاع عن أنفسهم ضد حصار الكلونيالية الجديدة والإمبريالية والنيوليبرالية، وضد أنظمة الحكم الداخلية الفاسدة القائمة على الشللية والمحسوبية. وفيما أن العالمين العربى والإسلامى يضمان أقليات إسلامية أكبرها عددا هم المسيحيون والهندوس واليهود، إلا أن الإسلام ذاته هو دين العالم النامي، بعد أن اختطف الغرب المسيحية واليهودية وأضفى عليهما لونه الأبيض على مر القرون. منذ القرن التاسع عشر، ظل المبشرون البروتستانت يستهدفون السكان المسيحيين من ذوى البشرة السمراء والسوداء فى الشرق الأوسط وإفريقيا وأمريكا الجنوبية (الكاثوليك فى غالبيتهم) والذين اعتبروهم «مسيحيين صوريين» فقط. وبالمقابل ظل الإسلام يتعرض للهجوم من قبل الذين تفحصناهم فى هذا الكتاب وذلك تحديدا لأنه يُعتبر ديناً عربياً، دينا لذوى البشرة السمراء والسوداء لم تتمكن الثقافة الأمريكية/ الأوروبية من إضفاء اللون الأبيض عليه بالأسلوب الذى جسدت به المسيح شخصا أزرق العينين، وموسى شخصا أبيض مسترسل الشعر كما تصورهما أفلام هيلوود.

الأيديولوجيا واللوبيهات والنفط:

النفط وإسرائيل هما المصلحتان الخاصتان اللتان تشكلان، تقليدياً، ركيزة سياسة الولايات المتحدة الخارجية بالشرق الأوسط. منذ فترة تم توثيق تاريخ اهتمام الولايات

المتحدة بنفط الشرق الأوسط، وهو اهتمام غدا الآن أكثر إلحاحا من ذى قبل. وكما ذكرنا سالفاً، فقد أكد آلان جرينسبان بصراحة ووضوح أن الولايات المتحدة اجتاحت العراق لضمان «أمن النفط».

ناقشنا فى الفصل السابق مسألة العلاقات الإسرائيلية/ الأمريكية، كما أنه، ومما لا ريب فيه، فقد تعرض دعم الولايات المتحدة لإسرائيل للتعليقات والنقد بأكثر مما نستطيع أن نورده فى هذا الكتاب. يرى البعض أن سبب ولاء الولايات المتحدة الكلى الأعمى لإسرائيل هو أن الدولة اليهودية تؤدى وظيفة رأس جسر فاعل فى منطقة معادية لمصالح الولايات المتحدة بشكل أساسى، فيما يؤكد آخرون أن هذا الدعم ناجم عن شعور بالذنب، على حين يزعم البعض الآخر من أمثال ميرشايمر وولت، أن موقف أمريكا هذا يغذيه اللوبى اليهودى الأمريكى وأيضا المسيحيون الإنجيليون المناصرون لإسرائيل والذين يُشهِرون نفوذهم المالي، بفعالية، فى العملية السياسية الأمريكية. تذهب تلك الأطروحة إلى أن هذا أثّر سلباً على وضع الولايات المتحدة فى العالم العربى وعمل ضد مصالح البلد الحقة. وفى نفس الوقت، تشير نظريات المؤامرة عن الولايات المتحدة، وأحداث ٩/١١، والصناعة النفطية، وعائلة بوش وكلينتون وجماعة «المستنيرين Illuminati» السرية عن مخطط إقامة اليهود حكومة واحدة للعالم أجمع» تشير إلى ما هو أكبر من مجرد شعوب واهمة مضللة ذاتيا تسعى إلى أهداف محددة تلقى عليها بمسئولية ما تعانيه بلادها. تظهر نظريات المؤامرة نتيجة وجود عيوب وثغرات فى النظام وفى سيمائه التى يطالعنا بها فى الإعلام والحكومة وأمريكا الشركاتية، حيث إن تلك النظريات هى حقا تجسيدات عبثية لعدم منطقية الأيديولوجيا التى تحكم حياتنا وتناقضاتها: السلام من خلال الحرب؛ التنازل عن الحقوق لكى نحيا أحرارا؛ قصف الشعوب الأخرى من أجل تحريرهم..إجل.

وسواء نجمت التحليلات عن نظريات هامشية للمؤامرة، أو بُنيت على أساس الأبحاث الجادة حول مصالح الولايات المتحدة النفطية بالشرق الأوسط، والعلاقة الداعرة بين اللوبيهات الموالية لإسرائيل والسلطة التنفيذية والكونجرس، فإن معظم

المعالجات لواقع سياسة الولايات المتحدة الخارجية فى الشرق الأوسط وتاريخ تلك السياسة، تُغفل احتمال أن يكون ثمة دافع أيديولوجى يحكم تلك العلاقات. ليست هذه الدوافع أيديولوجية بمعنى «الديموقراطية مقابل الشيوعية» أو «الحرية مقابل الاستبداد»، إذ إن الأيديولوجيا لا تعنى «المبادئ» أو «القيم» أو أيا مما يقول بوش أو أوباما إنها تعنيه. فما «الديموقراطية» و«القيم» و«المبادئ» سوى مفاهيم أيديولوجية فى إطار أيديولوجيات الواقع السياسي/ الثقافى الأمريكى الأشمل، أى أن الخطاب الذى تبناه لويس، وزكريا، ومشروع القرن الأمريكى الجديد، وبوش، وتشيني، وولفويتز، ومن يكتبون خطبهم، ليس انحرافا مؤقتا فى ثقافة الولايات المتحدة الأمريكية، أو انقلابا غير معهود فى نظامها السياسى بالإمكان تصويبه من خلال رئاسة أوباما الأكثر توازنا. ومثلما أن المحافظين الجدد لم يقوموا باختطاف المبادئ الأمريكية فى وقت أصيبت فيه المشاعر القومية بالرضوض وكانت بحاجة إلى الشفاء، فلم يعمل أوباما على تبديد ضباب الغضب ويتيح للأمريكيين فرصة لإبصار طريق أكثر تعقلا باتجاه السلام والأمن. الأحرى أن النماذج المعيارية المتعصبة التى يطبقها الأمريكيون على مجمل العرب والمسلمين، هى نماذج معيارية عضوية مصدرها اللاوعى السياسى «الأمريكي» فى عصر العولمة – لا وعى يتعامى عن تناقضات الرأسمالية، والعنصرية، وعدم المساواة بين الرجال والنساء، وقضايا الجندر، والإسلاموفوبيا. حاول هذا الكتاب أن يوضح أن هذا اللاوعى تشكل من طبقات متعددة تعلو بعضها من الأنشطة والخطابات المعادية. إن مجمل التعليقات السياسية، والإصدارات، والوسائط الإعلامية، ولجان الفعل السياسي، ومراكز الدراسات والأبحاث، والسياسيين والأكاديميين والبيت الأبيض ووزارات العدل والتعليم والخارجية والكتائب المناهضة للإسلام، جميعها فى مجملها تلقى الضوء على الإسلاموفوبيا المتجسدة فى اللاوعى السياسى الأمريكى وتجسدها.

الإسلاموفوبيا والحفاظ على أهمية إمبراطورية الولايات المتحدة وصلتها بالأحداث:

فى مارس وإبريل ٢٠٠٩ التقى مسئولون من وزارة الخارجية الأمريكية مع ممثلين

لـ «المتمردين» [المقاومين] العراقيين فى تركيا، ومن المحتمل أن هذا كان ما عناه أوباما بالحوار. تقدم المقاتلون العراقيون بأربعة طلبات بسيطة: على الولايات المتحدة أن تعتذر علنا عن غزو العراق واحتلاله؛ وعليها الإفراج عن جميع الأسرى الذين تحتجزهم فى سجونها ومعتقلاتها؛ وأن تتعهد بالتزامها بإعادة إعمار العراق، وأن تسهل دخول جميع من قاتلوا الأمريكيين وحلفائهم من العراقيين إلى معترك التيار السياسى السائد. لم يكن من قبيل المصادفة أن حُدِّد موعد فى شهر يونيو لجولة ثالثة من تلك المحادثات لكنها لم تتم. قدم المقاتلون العراقيون طلبات منطقية كان لابد أن تؤدى إلى إنهاء احتلال الولايات المتحدة للعراق، لكن ليس إلى مشاركة الولايات المتحدة فى شئونه السياسية والاقتصادية. وفى واقع الأمر، فإن وزارة الخارجية الأمريكية تعترف بأسلوب غير مباشر، بعقد اجتماعات سرية طوال الوقت من المجموعات «المتمردة» ومع أعدائها. لكن، لِم لم تقبل إدارة أوباما تلك الطلبات البسيطة، أو تواصل المحادثات على الأقل؟ تؤكد وزارة الخارجية أنها لم تُرِد الخروج على التزاماتها الراهنة إزاء إعادة إعمار العراق، كما لم تُرِد الانقلاب على حلفائها هناك. لكن الأسباب الحقيقية أكبر من هذا، بمثل ما أن الإسلاموفوبيا ليست مجرد كراهية للمسلمين لأنهم مختلفون.

إن الانتصار فى العراق وأفغانستان مجرد أهداف تكتيكية هامشية فالحرب على الإرهاب «حرب دائمة» كما بين أندرو بايسفيتش. ينتهى كثير من المحللين والأكاديميين اللامعين إلى أن حكومة الولايات المتحدة، وفى محاولة للحفاظ على أمانها وأمنها، جعلت نفسها أقل أمناً وأثارت مشاعر الكراهية ضدها. يذكر ستيفن كينزر فى كتابه الذى أشرنا إليه سالفا أن الولايات المتحدة بحاجة إلى أن تخطو خلفا «وتعيد ترتيب» أولويات سياستها الخارجية ومراجعة رؤيتها للشرق الأوسط، حيث إن الولايات المتحدة ستضمن مصالحها الخارجية والاقتصادية إن هى غدت أكثر إنصافا، وأحسنت الإصغاء إلى شعوب العالم الإسلامي، وتداخلت مع إيران بأسلوب بناء، وعملت على إقامة دولة فلسطينية مستدامة قابلة للحياة.

تستنكر بعض الأصوات النادرة بالكونجرس من أمثال دنيس كوسينيتش وراس فاينجولد، علناً، كيفية إفراغ مجهود أوباما الحربي، وقبله مجهود بوش لخزائن الولايات

المتحدة، وتحويله الأموال المفترض إنفاقها على الخدمات الاجتماعية الأساسية مثل التعليم والرعاية الصحية وتقليص الفقر وخلق الوظائف لتُنفق على الحروب. وهذا التفكير معارضة منطقية لما يبدو وأنه سياسة غير منطقية ومستدامة لحكومة الولايات المتحدة. ورغم منطقية هذه المعارضة إلا أنها لا تصيب الهدف. إن استغراقنا فى التفكير حول دور الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط لا يسهم فى استنارتنا لأن هذا الدور كثيرا ما يتناقض مع المنطق. وعلى الرغم من أن اعتبارات الحرب الدائمة، واعتماد الولايات المتحدة على نفط المنطقة ومواردها وحاجتها للتحكم فى تلك الموارد، ومصالحها «الأمنية»، وروابطها «التى تنفصم عراها» مع إسرائيل، على الرغم من أنها كلها عوامل مقنعة إلا أنها لا تصبح كُلاً متكاملا متسقا إذا لم يتم الربط بينها فى إطار أيديولوجيا أكثر شمولا.

وفى النهاية، فقد أوضح كثير من الباحثين والأكاديميين المرموقين أن «موجة» الإرهاب مبالغ فيها ناهيك عن كونها خدعة ذرائعية. مثلا، قام أوليفيه روى بتقويض أسطورة «جيواستراتيجية الإسلام» فى كتابه «سياسات الفوضى بالشرق الأوسط» حيث بدَّد المزاعم القائلة بأن الإسلام فى حالة حرب مع الغرب. علاوة على ذلك، يبين روى وآخرون التناقضات الفاضحة فى سياسة الولايات المتحدة الخارجية مثل دعمها للأنظمة الفاسدة فى السعودية وباكستان، مثلا، والتى تقوم بتمويل «المجموعات المتمردة» المعادية لأمريكا بالعراق وأفغانستان. كما أوضح طارق على أن التهديد الذى تمثله القاعدة لأمن المنطقة أقل من ذاك الذى يمثله دعم الولايات المتحدة للجيش الباكستاني. وبالمثل، توضح كتابات مايكل شوير، عميل السى آى إيه الذى قاد وحدة اقتفاء أثر بن لادن فى التسعينيات والسنوات المبكرة من القرن الحادى والعشرين، توضح إدراك عملاء الولايات المتحدة ومسئوليها أن سياسات الولايات المتحدة فى العالم الإسلامى تقوض مصالحها الإقليمية، وتمكن التنظيمات الإسلامية التى تقاتل ضد أمريكا وحلفائها، وتضفى عليها الشرعية، بل وتؤدى إلى تشكيل العديد منها.

يذهب أحد تفسيرات التيار غير المنطقى الذى يشكل أساس سياسة الولايات المتحدة إلى أنها تستثمر فى عدم استقرار المنطقة عن وعى وتفكير عقلاني. يتحدث

مارك لڤاين عن أن رؤية المحافظين الجدد للشرق الأوسط تقوم على أساس نظرية الفوضى الشاملة التى تذهب إلى أن التخطيط الإقليمى الاستراتيجى يستند إلى احتمالات عدة للفشل والنجاح ويتوقف عليها. أيضا، تفحص يحيى صدوسكى كيف فكر المحافظون الجدد فى «تنويعات عدة» من الفوضى الكوكبية، لكنه يرفض النظرية الجامعة الشاملة التى تذهب إلى أنه قد نجم عن العالم أحادى القطب انفجارات للعنف الإقليمى وأنه بإمكان القوة الكوكبية المهيمنة التحكم بتلك الحروب الصغرى القائمة على أساس القومية والطائفية والقبلية وإدارتها. وفى هذا، فإن صدوسكى يستهدف بخاصة روبرت كاپلان والذى يُعتبر كتابه «الفوضى القادمة» قمة فى بارانويا المحافظين الجدد حيث إنه وضع لهم أجندتهم التى ساروا على خطاها فى التسعينيات. ليست رؤية كاپلان للعالم المعولم والتى تتسم بأنها مقلوب للطوباوية، هى ما يميز كتابه، أو يميزه ازدراؤه للعالم الثالث بصفته مكانا للفوضى والعنف المتأصلين فيه. المثير للاهتمام هو إدراكه للأهمية المتزايدة التى بإمكان الجيش الأمريكى والاستخبارات الأمريكية أن يكتسباها ودورهما المركزى فى قيادة الولايات المتحدة للعالم. علاوة على ذلك، ينتهى كاپلان إلى القول بأن السلام العالمى ليس بالأمر المحمود، إذ إن الحرب، وليس السلام هى التى تمنح «حسا بالماضي» وتعمل كمُحفز للتغيير الاجتماعي، أما السلام، فيأتى معه بمجموعة من الأخطار من بينها تقليص عدد من يرتدون البزات العسكرية الأمر الذى سينجم عنه مزيد من الجموح وعدم سيطرة القانون. وفى النهاية، يوصى تحديدا، وعلى النقيض من كثير من المحافظين الداعين للعزلة، بأن تدفع الولايات المتحدة ما تدين به للأمم المتحدة، وبهذا، يمكنها السيطرة عليها واستخدامها وسيلة لانتزاع أهدافها الخاصة والتى يرى الكاتب أنها مرادفة للنظام الكوكبى وازدهار العالم.

تشهد صراحة كابلان المخيفة على وجود خطاب خاص باللحظة أحادية القطب، حيث تعبر عن تبرير فج غير منمق لهيمنة إمبراطورية الولايات المتحدة «الخيّرة» على الكوكب. قام كثير من الباحثين والأكاديميين والصحفيين بدراسة غزو العراق وتحليله على أنه يمثل مكونًا حاسما فى الخطوة المنطقية التالية للعالم أحادى القطب، بل رأه البعض حالة تجريبية إرشادية لمسيرة الإمبراطورية. أوضح معلقون من أمثال مايكل

شوارتز أن الولايات المتحدة نفذت خطة للعراق كانت قد تفتقت عنها أذهان المسئولين والمنظرين السياسيين من المحافظين الجدد فى مراكز الأبحاث والدراسات ومختلف المجالس فى تسعينيات القرن العشرين، وتم التعبير عنها فى أوساط التيار السائد فى وقت متزامن من خلال متحدثين يتبنونها مثل فريد زكريا وبرنارد لويس. يأتى شوارتز بأطروحة مكتملة لا تشوبها شائبة توضح كيف كان من المفترض للعراق أن يوفر نموذجا نيوليبرالياً ليس للشرق الأوسط فحسب بل أيضا للعالم النامى بأكمله. يذهب إلى أن الولايات المتحدة قامت بغزو العراق، والإطاحة بحاكمه المستبد، وفككت جميع أجهزة الحكومة شبه الاشتراكية الفاعلة، ومزقت شبكة الضمان الاجتماعى الحكومية الناجحة وأبطلت الخدمات العامة، واستبدلت كل هذا بفراغ فى السلطة، وبفساد مروع وارتفاع هائل فى معدلات الجريمة وبكابوس خصخصة نيوليبرالية غير مجدية.

إذا ساورنا أى شك فى أن الولايات المتحدة هى من هندست، ليس فقط غزو العراق واحتلاله ثم الانسحاب العسكرى الجزئى الزائف، بل وأيضا الأزمات التى يعانى منها، ما علينا إلا النظر إلى مُجمّع السفارة الأمريكية ببغداد. تشهد «قلعة» أمريكا تلك على رغبة الولايات المتحدة فى أن تظل لها الهيمنة السياسية على المنطقة، سواء تم ذلك من خلال نشر مئات الآلاف من القوات، أو عشرات الآلاف من المرتزقة، مثل عملاء وبلطجية بلاكووتر، أو من دون ذلك. وتعتبر السفارة الأمريكية ببغداد الأكبر من نوعها فى العالم، والتى تكلفت ما يربو على سبعمائة مليون دولار، وتحتل مساحة تساوى مساحة مدينة الفاتيكان، دليلا على هذا العزم. يقول ويليام لانجويتش فى مقال له بمجلة فانيتى فير عدد نوفمبر ٢٠٠٧ «ليست السفارة الجديدة مؤشرا على الرحيل من العراق، بل على البقاء هناك – لأى سبب كان، وفى ظل أية ملابسات، ومهما كانت التكلفة». ويضيف قائلا إنه وعلى نفس الدرجة من الأهمية، فإن السفارة ستعمل كرأس إخطبوط تخدم عدة «مواقع تواجد دائم» أى قواعد عسكرية استراتيجية تأوى قوات عسكرية تابعة للولايات المتحدة، أو مليشيات خاصة، فى مناطق استراتيجية بالعراق، غالبيتها مناطق نفطية.

تعهد أوباما فى خطابه الاستهلالى «بزيادة التوكيد على عظمة بلدنا وإثباتها» على المستوى الداخلى والخارجي. وفى فبراير ٢٠٠٩، تعهد أيضا بسحب جميع «الألوية

المقاتلة» من العراق بحلول ٣١ أغسطس ٢٠١٠. وقبل شهر من هذا الموعد النهائى الذى حدده، علّق كثير من المراقبين على إعادة تسمية أوباما لمهام بعض القوات، الأمر الذى اقتضى تحويل مهمة القوات «غير القتالية» البالغ عددها ٥٠٠٠٠ جندى التى ستبقى فى العراق إلى مهمة «مساعدة» و«تدريب» الجيش العراقى على محاربة «المتمردين» وتتبع «الإرهابيين» ومحاولة القضاء على التهديدات الإرهابية. تضمنت إعادة التسمية تلك تضخيم مهمة القوات الخاصة المتعاقدة. يذهب جيرمى سكيل فى كتابه «بلاكووتر: صعود أقوى جيش مرتزقة فى العالم»[1] إلى أن الانسحاب الرسمى يدعمه «احتلال مصغّر» أى انتشار مصغر لميشيات الولايات المتحدة الشركاتية والتى تستخدم لحماية المصالح الأمريكية ودبلوماسييها فى العراق، ويبين أن «استخدام القوات الخاصة هو أسلوب ملتوٍ لاستمرار تواجد كبير للولايات المتحدة تحت غطاء أمن الدبلوماسيين» وهذا الأسلوب الملتوى لتواجد المرتزقة وإعادة تسمية قوات الاحتلال باسم «القوة الانتقالية» ضرورى لاستمرار دور الولايات المتحدة ووجودها بالعراق. يبين إريك مارجوليس فى مقاله بعنوان «إعادة تسمية مهمة الولايات المتحدة بالعراق. مرحبا بالمستشارين والمساعدين» والذى نُشِر بصحيفة هفينجتون بوست فى ١٠ أغسطس ٢٠١٠، يبين أنه «لو تم سحب جميع قوات الولايات المتحدة من العراق، لواجه نظام المالكى الألعوبة خطر السقوط سريعا؛ والمحتمل فى تلك الحالة، أن يأتى إلى السلطة نظام وطنى قومى حق، يعيد تأميم النفط، وتسليح الجيش، ويعيد بناء الأمة المدمرة، والانضمام للعرب فى مواجهتهم لإسرائيل». كما يذهب جارث پورتر المعلق التليفزيونى المتمرس فى موضوع احتلال العراق، إلى أن الانسحاب قد تحول إلى إقامة «قوة انتقالية» قوية العضلات وأن هذا التغيير اللفظى الطفيف أتاح لأوباما أن يتراجع عن وعده بالانسحاب من العراق الذى قطعه على نفسه أثناء حملته الانتخابية، فى إيماءة منه إلى القوى السياسية والبيروقراطية التى تدعم الوجود العسكرى طويل الأمد بالعراق، وتفيد عدم وجود نية لديه لسحب جميع القوات المقاتلة حتى نهاية عام ٢٠١١ على أقل تقدير».

لم يكن من قبيل الصدفة أن صرح أحد كبار المسئولين العسكريين العراقيين، فى

(١) صدرت عن سطور الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان «بلاكووتر: المرتزقة قادمون».

أعقاب إعلان أوباما أن جدول الانسحاب يسير وفقاً للخطة، بالقول إن قوات الأمن العراقية غير مهيئة بعد لاستلام تلك المهام، وإنه لا ينبغي للولايات المتحدة الانسحاب حتى عام ٢٠٢٠. لا يعتبر مثل هذا التصريح دليلا على أن الولايات المتحدة كانت توجه من يعملون نيابة عنها إلى استغلال الثغرات الموجودة في «اتفاقية حالة القوات» لعام ٢٠٠٨ بقدر ما تشير إلى المعركة السياسية بين الولايات المتحدة وإيران في نطاق حلفائهم المشتركين بحكومة المالكي. وكما بيّنا، تذهب أطروحة الكتاب إلى أن الإسلاموفوبيا تشكيل أيديولوجي يتم نشره واستخدامه لتسهيل تواجد الولايات المتحدة في العالم الإسلامي، ولجعل هيمنة الولايات المتحدة تبدو ضرورية. بيد أن الولايات المتحدة خلقت حربا ضد «المتطرفين» السُّنة في العراق لم يكن لها وجود من قبل. علاوة على ذلك، وجدت إيران، مع انتشار مئات الآلاف من قوات الولايات المتحدة في بلد متاخم لها، وبعد القضاء على نظام منافس لها، وجدت من الضروري زيادة دورها بالعراق من أجل أمنها القومي. ومن المفارقات أن العدوين – إيران والولايات المتحدة – لهما نفس الحلفاء المشتركين في الحكومة العراقية.

هذا هو التغير الذي حدث في مشهد قوة الولايات المتحدة وسياستها بالخارج نتيجة لتغير المنظور، وذلك لأن نظرتها الأيديولوجية إلى العالم تشكل جوهر رؤيتها للمنطقة وشعوبها. بيد أنه لا يجوز لنا أن نعزو اختلاف المشهد إلى تغير المنظور فقط.

إن الفرق، في واقع الأمر، يكمن في حقيقة أن الولايات المتحدة، ومن خلال توظيفها للمجمل الكلي لمواردها وإمكاناتها السياسية والاقتصادية والعسكرية – ناهيك عن أقوى جهاز أيديولوجي تملكه أية دولة في عصر العولمة، وإعلام القنوات الفضائية وصناعة الترفيه بما في ذلك أفلام هوليوود – تبث وجهة نظرها عن العالم الإسلامي بين المتآمرين معها في الغرب وتفرض تلك الرؤية على بقية العالم.

بلغ تغير مشهد وضع القوة الأمريكية درجة أصبح ينبغي عليها معها تحويل رؤيتها إلى واقع إن كان لها أن تحافظ على دور لها وأهمية في العالم العربي والشرق الأوسط. وفي واقع الأمر فإن الحفاظ على هذا الدور وتلك الأهمية، هو المبرر الأول لوجود الولايات المتحدة بالشرق الأوسط، وليس النفط أو نشر الديموقراطية. أثناء إدارة بوش، كان وجود «الجنود على الأرض boots on the ground» ضروريا

لترسيخ السطوة الأمريكية فى أماكن لم تكن متاحة لها من قبل. كما أن تقويض برمر الاستباقى للدولة العراقية، وكذلك الأسلوب الذى تعامل به مرءوس بوش مع المسئولين العراقيين وكأنهم نُمي، كلها أمور أصبحت معروفة على نطاق واسع. لكن الاستراتيجية الأكثر فاعلية للإبقاء على دور للولايات المتحدة وأهمية لوجودها هى الحفاظ على حالة من التوتر والصراعات على درجة من الشدة بحيث يحتاج حلفاء الولايات المتحدة المحليون لمساعدة واشنطن العسكرية والسياسية والاقتصادية لكنها ليست على درجة من العنف بحيث تتطلب وجود جنود الولايات المتحدة على أرض العراق . تستفيد الولايات المتحدة من عدم الاستقرار مثلما تستفيد من الخوف. يعمل عدم الاستقرار على انبعاث المشاعر القتالية والوطنية فى السكان، ناهيك عن التوجهات الشوفينية، والتى تبرر بسهولة ما كان لابد له، لولا هذا، أن يبدو عدوانا فجا صلفا، أو احتلالا. وفيما يمضى أوباما، وبوش وكلينتون ورايس فى تصريحاتهم المتكررة بأنه ليس للولايات المتحدة رغبة فى أن يكون لها قواعد «دائمة» فى المنطقة، فإنهم يؤكدون دوما على التزامهم «الثابت» و«طويل المدي» بأمن العراق وازدهاره.

تفحص الواقع:

على حين أن سياسات الولايات المتحدة الاقتصادية وإجراءاتها السياسية بالشرق الأوسط مثمرة ومفيدة للنخب المحلية فإنها مدمرة للطبقات الوسطى والعاملة وللمحرومين. يناقش تيموثى ميتشل فى كتابه بعنوان «حكم الخبراء» عملية القضاء على الاقتصادات القومية الاشتراكية [كما حدث فى مصر] وتداعياتها ويوضح الآثار المدمرة لإعادة الهيكلة على مجموعات السكان الحضرية والريفية. وبدوره، يعمل الفقر الجماهيرى وإفساد البيئة وتدمير الزراعة الناجم عن إعادة الهيكلة البنيوية على خلق حاجة إلى «معالجة» الاقتصاد و«إصلاحه» مما يستدعى معه أن تبدو معونة الولايات المتحدة المباشرة، و«الشراكة معها» وتوجيهها السياسي/الاقتصادى أمورا ضرورية بل مسألة «حياة أو موت». وبالمثل، فإن «الإرهاب» الذى تستثيره الولايات المتحدة وسياساتها الخارجية المعادية للمسلمين (دعمها للحكام المستبدين القامعين وبخاصة حسنى مبارك) وصعود إيران كقوة إقليمية ونووية، يجعل تواجد الولايات المتحدة

ضروريا، وبخاصة إذا كانت تلك «التهديدات» مدعومة بـ«دين يحث على الكراهية» يمكن تصويره على أنه يقوم على «أيديولوجيا» معادية للحداثة ولحقوق الإنسان وحقوق النساء والحرية والديمقراطية.

بيّنا في هذا الكتاب كيف أن تيارات الإسلاموفوبيا الراهنة نجمت عن لحظة تاريخية محددة، وثقافة ما بعد الحرب الباردة الأمريكية التي تزدهر على إعادة إنتاج شروط هيمنتها. أوضح الكتاب أيضا الأسس الاستطرادية للإسلاموفوبيا، وهيمنة ذلك الفكر، وكيفية انتشاره، وأوضح أيضا أنه يكمن في أسس السياسات الداخلية والخارجية. رأينا أيضا الحملات المتعددة المتنوعة ضد المسلمين في الولايات المتحدة، وفي العالم الإسلامي، والتي نفذتها وانتهجتها وزارات الدفاع والأمن الداخلي والعدل في إدارتي بوش وأوباما. علاوة على ذلك، رأينا كيف عمدت المنظمات السياسية واللوبيهات، وجماعات الفعل السياسي، ومعها المرتزقة المكارثيون والمنظرون المأجورون، والنشطاء والمواطنون العاديون، عمدوا بجدٍ وحماس ديني إلى استهداف المسلمين الأمريكيين، والمفكرين، والطلبة المسلمين والجامعات أيضا، ومارسوا العنف ضدهم، في محاولة منهم لإشاعة مناخ من الخوف والترهيب والرقابة الذاتية. إن الإسلاموفوبيا ذريعة أيديولوجية تتيح للحكومة التحكم في السكان، المسلمين وغير المسلمين معا، علاوة على إضفاء الطابع المؤسسي على الإجراءات السياسية والعسكرية بالخارج وعلى حدود الولايات المتحدة الجنوبية.

وكما ذكرت في مقدمتي، فلابد أن يتسم أي دفاع عن الإسلام في حد ذاته، أو أي تعميم عن عنف المسلمين السياسي، بالإسلاموفوبيا إذ إنه سيكون من المستحيل تحاشي الاختزال أو التعميمات. من ثم، فلم يتعاط هذا الكتاب مع موضوع الإسلام السياسي أو مع أيديولوجيا المقاومة التي تكمن تحته، سوى بشكل موجز. كثيرا ما يقوم المنظرون والصحفيون والمدونون والمرتزقة والهواة، عشوائيا، بذكر أسماء مثل سيد قطب وحسن البنا والإخوان المسلمين والسلفيين والوهابيين دونما فهم منهم لسياقات هؤلاء التاريخية، بل إن المعلقين الأوروبيين، حتى المتعاطفين منهم الذين يتبنون نهجا نقديا، غالبا ما يجدون من الصعوبة بمكان فصل أنفسهم عن فهم للتاريخ لا يتمركز حول أوربا والغرب. من ثم، غالبا ما ينجم سوء الفهم الناقد للإسلام

السياسى عن عدم القدرة على التمييز بين الفصائل المتعددة للإسلام السياسى التى تجسدت كممكون للحداثة، وليس كدليل على رد الفعل ضدها تحديدا. وفى واقع الأمر، يسهم الإلمام باللغة العربية فى سوء الفهم هذا. بيد أن المشكلة تتخطى عدم القدرة على قراءة اللغة الأصلية للشعوب التى يهاجمها المنظرون والصحفيون وصناع السياسة والمعلقون، إذ إن المشكلة تنجم عن حقيقة عدم فهم المعلقين الأمريكيين لقوة الحداثة ومعناها وتداعيات انتشارها فى العالم النامى المُستعمَر. لن يسوغ الفهم الناقد للإسلام السياسى بصفته ظاهرة اجتماعية وتاريخية واقتصادية وسياسية معقدة ومتعددة الأوجه، لن يسوغ العنف السياسي، بل سيعمل على توضيح أصوله ومنطقه ومصادر إلهاماته.

يعكس الغضب والخوف والحس بالاقتلاع فى الشرق الأوسط والعالم الإسلامى مشاعر الكثيرين فى بقية أنحاء العالم النامى فى عصر العولمة. وبلا أدنى ريب، فإن مناخ الحصار الذى يعيش فيه المسلمون فى أنحاء العالم تتسبب فيه مباشرة الإجراءات السياسية والاقتصادية والعسكرية للولايات المتحدة والتى ظلت قائمة منذ عاصفة الصحراء، على الرغم من أن هذا لا يعنى أن مناخا مماثلا، وإن كان أقل حدة، من ازدراء الغرب ورغبته فى السيطرة لم يكن موجودا قبل عاصفة الصحراء، أو أن كل شيء تغير فجأة فى ١٧ يناير ١٩٩١. فعلى الرغم من أننى استخدمت عاصفة الصحراء كلحظة فارقة، لكن النقلة من كراهية العرب الاستشراقية إلى منظومة الإسلاموفوبيا الجديدة كانت قد بدأت قبل عاصفة الصحراء ولم يكتمل تبلورها سوى بعدها بفترة. مثلا، تُجسِّد سياسة الولايات المتحدة فى أفغانستان والعراق ما طرأ على استخدام العرب والمسلمين فى الشرق الأوسط والإساءة إليهم من تغيرات وتعديلات. مثلا، فعلى حين أن الولايات المتحدة ساعدت على حدوث الانقلاب البعثى فى العراق عام ١٩٦٣، إلا أن العراق التحق بالحظيرة السوفييتية فى نهاية الستينيات، ثم كان دفء العلاقات بين صدام حسين ورونالد ريجان نذير الزمن الذى نحياه الآن. لم يكن هذا الدفء من قبيل المصادفة، بل إن الانفراجة فى العلاقات جاءت نتيجة للمصالح المشتركة حيث مثلت الثورة الإسلامية الإيرانية تهديدا لنظام البعث العلماني، بأكثر من تهديدها لمصالح الولايات المتحدة الجيو/سياسية

بالمنطقة. وفي نفس الوقت الذى قامت فيه إدارة ريجان بتسليح صدام حسين من أجل احتواء إيران، قامت الولايات المتحدة بزراعة المجاهدين المعادين للسوفييت ورعايتهم وقوَّت العلاقة مع محمد ضياء الحق، ديكتاتور باكستان، الذى كان شخصيا، مسئولا عن «أسلمة» نظام باكستان القانوني. وباتباعها رؤية لويس وبرجنسكى عن منحنى «قوس» الأزمة، قامت واشنطون بتطوير علاقات عسكرية وثيقة مع حكومة «معادية للديموقراطية» من أجل محاربة النفوذ السوفييتى فى آسيا الوسطي، واستخدمت أيضا كثيرا من الأنظمة المثيلة من أجل عزل إيران الخميني.

لابد وأن يبين لنا هذا الموجز الانتقائى بالغ الاقتضاب لبعض تدخلات الولايات المتحدة فى العالم الإسلامى أن ثمة أسباباً وجيهة تبرر غضب المسلمين وإحباطهم من الولايات المتحدة وارتيابهم فيها، إذ إن تلك الأنظمة الجائرة القامعة المدعومة من الولايات المتحدة لم تأت لشعوبها بأى خير.

بيد أنه لا يجوز أن يترك هذا التحليل الانطباع بأن العرب والمسلمين فى مجملهم يُكنون عداءً جماعيا ثقافيا ومتأصلا ضد الولايات المتحدة والغرب والعالم المسيحى وضد اليهودية والحداثة، أو ضد «التقدم» حتى مع احتمال أن تكون تلك مشاعر مُبرّرة. ليس هذا الغضب سمة ثقافية للعرب والمسلمين، بل ظاهرة تاريخية وسياسية واقتصادية. وفى واقع الأمر، فإن أكثر ما لا يجوز غفرانه، بل يجب إدانته فى أعمال المؤرخ لويس، والمحلل السياسي، زكريا، هو استخدامهما الانتقائى للتاريخ. وعلى الرغم من أنه يمكن فهم هذا القصور، لا غفرانه، فى أعمال الصحفيين الانتهازيين من أمثال توماس فريدمان الذى لا يفهم العربية على الرغم من زعمه أنه مرجعية فى التاريخ العربى إلا أن الجهل بالعربية لا يُعدّ عذرا لأى شخص مثل فريدمان لارتكاب مغالطات فجة كقوله «لقد أعطت حكومة الولايات المتحدة وجيشها للعراقيين فرصة لم تُتح لأى شعب عربى آخر، فرصة كتابة عقدهم الاجتماعى الخاص الذى يوضح كيف يريدون أن يحكموا أنفسهم ويتعايشوا معاً». تناقض هذه المقولة تجربة العالم العربى التاريخية حيث تشتبك كثير من البلدان فى صراعات للحصول على استقلالها، وفى ثورات تخلص بها نفسها من الأنظمة الكلونيالية القامعة و/أو صبيانها ووكلائها من الحكام الفاسدين المتعفنين. علاوة على ذلك، فإن ثمة كثيراً من الأعمال البحثية

والأكاديمية، بما فيها هذا الكتاب، والتى تعاطت تحديدا مع التعقيدات التى بها ترسخت الحداثة، واتخذت صبغة مؤسسية، بل وحُفِرت فى الفكر العربى الحديث وفى الثقافة العربية.

توضح معظم الأعمال الأكاديمية حول العالم الإسلامى والعربى فى القرن العشرين تعقيدات القضايا المتضمنة فيما ينظر إليه فى الوقت الراهن على أنه الإسلام السياسي. أوضحت تلك الدراسات أن الحداثة مشروع ذاتى المنشأ وليس فقط مشروعا تم فرضه على تلك المجتمعات المحلية. من الشائع الآن فى الدوائر الأكاديمية النظر إلى النخب المحلية والطبقات الوسطى التى خُلِقت حديثا على أنها تُستثمر فى التطور الرأسمالى والمؤسسات السياسية الجائرة وفى قمع المعارضة السياسية والعمالية تماما مثل استثمار سياسات الولايات المتحدة ومن ينوبون عنها. وعلى الرغم من العدد الكبير المتاح من الدراسات الأكاديمية السليمة، يختار الكثيرون من كتاب الأعمدة والصحفيين والمعلقين أن يتبعوا الدراسات ذات الأجندات السياسية والثقافية المغرضة لكتّاب من أمثال لويس وزكريا، وذلك بسبب الرغبة التى تنطوى عليها الإسلاموفوبيا للإبقاء على العرب والمسلمين فى حالة من التخلف والسلطوية وذلك لجعلهم أكثر مرونة للتكيف مع متطلبات النيوليبرالية والإمبراطورية الأمريكية ومقتضياتهما. لقد رأينا أن بإمكان تلك السياسات أن تتحقق فقط إذا أُظهِر العالم الإسلامى فى وضع يبين أنه معكوس العالم الغربي. مثلا، يقول زكريا تحديدا إن مسيرة العالم العربى تمثل «مقلوب المسيرة التاريخية فى العالم الغربى حيث أنتجت الليبرالية الديموقراطية وغذّت الديموقراطية الليبرالية. أما الطريق الذى انتهجه العرب فقد أنتج الديكتاتورية التى ولّدت الإرهاب الذى هو أكثر التجليات اللافتة للاختلال الوظيفى فى العلاقة بين الدولة والمجتمع». وبالمثل، تُثبّت نهاية كتاب برنارد لويس «أين الخطأ؟» المقتضبة مسئولية ذلك التخلف وتلصقه بالعرب أنفسهم، لا بالتداعيات السياسية والاقتصادية للحرب الباردة، أو حتى بالتقلبات التاريخية حيث يقول إن على العرب «التخلى عن مظالمهم وأحزانهم، ومشاعرهم بأنهم ضحايا، وعليهم تسوية خلافاتهم وتسخير مواهبهم وطاقاتهم ومواردهم معا فى جهد خلاّق مشترك، وبذلك فقط يصبح باستطاعتهم جعل الشرق الأوسط من جديد مركزا رئيسيا للحضارة. وفى تلك الأثناء، فإن الخيار خيارهم».

إن القول بأن مثل هذه الشخصيات هي العقول المفكرة التي تضع السياسات الأمريكية والغربية هو تضخيم لقيمتهم. لكن فهمنا للثنائيات التي أرسوها بين المسلمين والولايات المتحدة، وبين العرب والغرب، وبين الإسلام والحداثة، وبين السلطوية والنيوليبرالية يساعدنا على فهم المنظومة الفكرية للتبريرات الأيديولوجية لسياسات الولايات المتحدة، وأيضا على فهم أن أطروحاتهم وعلى الرغم من أنها ليست فريدة، إلا أنها تعمل مبررا فكريا وثقافيا للإجراءات السياسية والاقتصادية والتي لها تداعيات جد واقعية، وجد عنيفة. ولهذا نجد أن الصحافة العربية قد أدركت منذ فترة تأثير زكريا ولويس على الرأي العام السائد وعلى سياسة البيت الأبيض. مثلا، وصف الدكتور حمدي سيد السكّوت في مقال له بجريدة الأخبار بتاريخ ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٤ بعنوان «برنارد لويس.. المرشد العام للمحافظين الجدد في أمريكا» وصف لويس بأنه أحد أخطر الشخصيات المؤثرة التي تختبئ في الكواليس وتدفع السياسة الخارجية للإدارة الأمريكية الراهنة. أما التحدي بالنسبة لقراء الإنجليزية فيتمثل في أن عليهم التنقيب في الأعماق التي غُرست بها الإسلاموفوبيا في الثقافة الأمريكية واللاوعي الأمريكي وتداعيات ذلك المعقدة. وكما رأينا، تعمل الإسلاموفوبيا بسلاسة في أوساط التيار السائد الأمريكي، وذلك بسبب تاريخه العنصري وعدم وجود غضاضة لديه في ذلك، حيث إن الأمر لا يقتصر على أن للولايات المتحدة تاريخا مستداما من تجريد السود والسكان الأصليين والآسيويين من آدميتهم وحرمانهم واستهدافهم، بل أيضا تحويل تلك الكراهية العنصرية إلى فعل سياسي للاصطياد وارتكاب المذابح من أجل التحكم في المعارضة ومشاعر السخط والاستياء. والآن فقد تناسجت الإسلاموفوبيا في هذا التاريخ وأصبحت جزءا لا ينفصل عنه.

نهاية البداية:

علينا، من أجل كسر أصفاد الإسلاموفوبيا أن نبدأ من حيث بدأ تحرير السود وذوي البشرة السوداء والنساء في الولايات المتحدة، أي أنه ينبغي أن نبدأ بتقويض كامل للخطاب والنماذج المعيارية التي تشكل الأساس التحتي لأفكار الإسلاموفوبيا. لذا، فليست المسألة هي ما إن كان أوباما يوافق على إقامة مركز إسلامي بالقرب من موقع أحداث ٩/١١ «Ground Zero»، حيث بدت «مصادقته» الفاترة وأنه يضمر

مذاقا مريرا فى فمه لاضطراره إلى مساندة الحرية الدينية. ونحن وقد قلنا هذا، فإن موقف أوباما من مبادرة قرطبة. يماثل موقف بوش من موضوع إدارة دبى للموانئ. وبالمثل، فإن شن كلينتون الحرب إلى جانب مسلمى كوسوفو لا يعنى أنه كان لا يتصرف من منطلقات الإسلاموفوبيا، وبخاصة، إذا أخذنا فى الاعتبار أن سياساته لعزل العراق وفرض العقوبات عليه كان لها تداعيات الإبادة الجماعية على سكانه.

وعلى الرغم من الأبحاث الأكاديمية الحقة فى الموضوع، إلا أن الأسئلة حول الإسلام والديموقراطية، والإسلام والحداثة، والإسلام وحقوق الإنسان، والإسلام والنساء، وغيرها من الثنائيات المماثلة يجب أن تتوقف. علينا التوقف عن البحث عن إجابات، أو توجيه الاتهامات على أساس من ثنائيات الإسلام وأيضا أن نتخطى الثنائيات من أمثال الجهاد مقابل عالم ماك. بيد أن الإجابات التى نبحث عنها لن تأتى من المصادر التى تعمل على استدامة الإسلاموفوبيا، ولن يساعدنا أى من دعاة الإسلاموفوبيا الذين وردت أسماؤهم فى هذا الكتاب على التخلص من فكر الإسلاموفوبيا ناهيك عن سياساتها. بل، والأهم من ذلك، فمن غير المرجح أن تأتى الإجابات من المسلمين أنفسهم. فقد أوضح التاريخ السياسى والثقافى للعالم الإسلامى الذى خضع للاستعمار لفترات طويلة أن الحداثة قد ترسخت بعمق فى جميع مناطق العالم، الإسلامى وغير الإسلامي، ومن ثم نجد المفكرين المسلمين والعرب، سواء اليساريين العلمانيين أو المتدينين المحافظين، مشبعين بثنائيات الحداثة التى تُقابل بين الشرق والغرب، والجنوب والشمال، و«المتخلفين» والحداثيين، كما نجدهم أيضا وقد تخندقوا فى معركة لن ينجم عنها بأية حال إلا استمرار استبعاد شعوب العالم النامي، ونهب ثرواتهم واقتلاعهم. يذكر هنرى چيروكس فى مقال له بعنوان «مابعد مشهد الإرهاب» بكتاب «صور الإرهاب: ما نستطيع معرفته عن الإرهاب وما لا نستطيع معرفته» (٢٠٠٣) يَذْكر أن «الموت والمعاناة محفوران بعمق فى منظومة السياسات» كما أن للصورة أثرا عميقا نافذا بدرجة غدا معها من غير الممكن فهم العلاقة الوثيقة بين الإرهاب والأمن فى الزمن المعاصر بدون أن نفهم كيف يشكّل المشهد العلاقات الاجتماعية ويضفى عليها الشرعية». ومن المفارقات أن الأثر

النافذ لهذه الصور ومعناها أصبحا الآن محفورين بعمق فى عيون المسلمين وعقولهم، ويؤطران محاولاتهم للحوار مع الغرب والاشتباك معهم.

من ثم، يقدم هذا الكتاب الخطوة الأولى فى محاولة تقويض النظرية المعرفية للإسلاموفوبيا من خلال الكشف عن بعض ظواهرها الغريبة الاستطرادية وآثارها على البشر، أو أنه يغامر بخطوة ضرورية استهلالية للإجابة عن السؤال التالي: ما مصدر الإسلاموفوبيا وأى المصالح تخدمها؟ تنبثق الإسلاموفوبيا، والتى هى مزيج من النماذج المعيارية الاستشراقية المُستهجنة، عن زمن جديد للرأسمالية الكوكبية تتربع الإمبراطورية الأمريكية فى طليعته. من ثم، فإن الإسلاموفوبيا تتمحور حول القوة، قوة الولايات المتحدة وقوة الرأسمالية الكوكبية. تعمل الإسلاموفوبيا على شيطنة المسلمين لأنهم يمثلون للذهنية الأمريكية وعلى المستوى الرمزي، الوجه الأسمر للمقاومة ضد الإمبراطورية الأمريكية، والرأسمالية العالمية، والخوف شبه الواعى من الكوكب الأسمر أو «العدو العام المعلن» كما يقال. علاوة على ذلك، فإن استهداف المسلمين هو محاولة لتقويض التكافل بين الشعوب السمراء والسوداء، والتي، وإن كانت لا تتشارك فى عقيدة دينية واحدة، إلا أنها تتشارك فى المعاناة من الآثار السلبية والمدمرة للرأسمالية الكوكبية. وإذا كان ما نقوله يبدو مستفزياً، فما علينا سوى الإنصات إلى أصوات المثقفين والمفكرين الأجلاء فى العالم العربى والإسلامي، تلك الأصوات التى حجبها تدريجيا صخب المشتبكين فى العنف السياسي، والذين لا يكرسون طاقاتهم للتعبير الذى ينقد ما يشنون الهجوم المُستحقّ عليه.

ربما ينبغى علينا الإنصات إلى أصوات مثيلة لصوت الراحل نصر حامد أبوزيد الذى قال «ليس ثمة وسيلة لتحاشى تداعيات ٩/١١ التى أوجدت وضعا يماثل الكلونيالية المبكرة. تحولت المعركة ضد الإرهاب، المشروعة فى حد ذاتها، إلى معركة دائمة ضد كل الآخرين، أى ضد الذين لا يقفون إلى جانبنا، وفقا لما أعلنه رئيس الولايات المتحدة. تُضمر تعبيرات «قيمنا» و«مجتمعنا، وثقافتنا، بوضوح أن الآخرين غير متحضرين». ثم ينتهى بالقول «ليست القضية القائمة هى تهديد التنوع الثقافي، بل إمكان خلق عالم منصف على المستوى الاقتصادى والسياسى والثقافي. تمثل

المطالبة العامة بالعدالة تهديدا للنظام العالمى الذى تمثله الولايات المتحدة وللسلطة السياسية الإقليمية للقادة الفاسدين الموالين للغرب».

أو، إذا كانت أصوات المسلمين والعرب وذوى البشرة السمراء تظل مريبة بسبب سطوة الإسلاموفوبيا وعمقها، فربما ينبغى علينا الإنصات إلى جندى أبيض نادم، كان قد ارتكب أعمال قتل لخدمة الإمبراطورية الأمريكية. ألقى مايك بريزنر، المحارب السابق بالعراق، والناشط ضد الحرب حاليا، كلمة استغرقت أربع دقائق، ثم انتشرت بشكل فيروسى على الشبكة الإلكترونية. يأتى بريزنر، فى إطار هجومه على حروب الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، وكلفتها البشرية والاقتصادية، يأتى بتعليق ثاقب البصيرة على العنصرية فيقول:

«ظلت العنصرية فى الجيش لوقت طويل آلة مهمة لتبرير تدمير بلد آخر واحتلاله، وظلت تستخدم منذ وقت طويل مسوغا لقتل الآخرين واستبعادهم وتعذيبهم. إن العنصرية سلاح ماضٍ تستخدمه هذه الحكومة؛ سلاح يفوق البندقية والدبابة وقاصفات القنابل والسفن الحربية أهمية..».

حينما نفهم الإسلاموفوبيا على أنها تشكيل أيديولوجى عنصرى أُوجد بهدف العمل على تعاظم قوة الولايات المتحدة وسطوتها، وإدارة المعارضة والانشقاقات، وتعزيز نظام العولمة الاقتصادية، سنتبين، وكما يقول بريزنر، أن العدو ليس هو الإسلام، أو المسلمين، أو الفلسطينيين، أو العراقيين، أو الأفغان، أو الإيرانيين أو الباكستانيين. ليس عدونا هو حماس، أو حزب الله، أو حتى جماعة الإخوان المسلمين.

«إن العدو هو النظام الذى يبعث بنا إلى الحرب حينما تكون مربحة؛ إن أعداءنا هم المدراء التنفيذيون الذين يقومون بفصلنا من وظائفنا حينما يكون ذلك مربحا؛ إنها شركات التأمين التى تنكر علينا الرعاية الصحية حينما يكون ذلك مربحا. إن أعداءنا لا يبعدون عنا بمسافة ٥٠٠٠ ميل. إنهم هنا بالداخل. وإذا تظلمنا أنفسنا، وضممنا إلينا شقيقاتنا وأشقاءنا كى نقاتل هؤلاء الأعداء، فسيصبح بإمكاننا وقف هذه الحرب، والتصدى لهذه الحكومة، وخلق عالم أفضل».

صدر من هذه

السلسلة

obeikandl.com

١- محمد (صلي الله عليه وسلم)
٢- صدام الحضارات
٣- عصر الجينات
٤- القدس
٥- العولمة والعولمة المضادة
٦- التاريخ السري للموساد
٧- من يخاف استنساخ الإنسان؟
٨- حرم محمد علي
٩- عولمة الفقر
١٠- صور حية من إيران
١١- البحث عن العدل
١٢- لورانس: ملك العرب غير المتوج
١٣- الصهيونية تلتهم العرب
١٤- معارك في سبيل الإله
١٥- التطبيع ومقاومة الغزوة الصهيونية
١٦- التسوية: أي أرض.. أي سلام
١٧- المكنز الكبير
١٨- الحق يخاطب القوة
١٩- نساء في مواجهة نساء
٢٠- مؤامرة الغرب الكبري
٢١- روسيا.. إلي أين
٢٢- موسوعة الأم والطفل
٢٣- الخدعة الرهيبة
٢٤- نهاية الإنسان
٢٥- خدعة التكنولوجيا
٢٦- ٣٦٥ حتوتة وحتوتة
٢٧- بوش ضد العراق... لماذا؟!
٢٨- أين الخطأ؟
٢٩- اللولب المزدوج
٣٠- رجال بيض أغبياء
٣١- سادة العالم الجدد
٣٢- الخطيئة الأولي لإسرائيل
٣٣- اللعب مع الصغار
٣٤- الإبادة السياسية
٣٥- حكومة العالم السرية
٣٦- ما بعد الإمبراطورية
٣٧- بوش في بابل
٣٨- المقاومة العراقية.. ومستقبل النظام الدولي
٣٩- تزييف الوعي
٤٠- القانون في خدمة من؟
٤١- كفي
٤٢- معني هذا كله
٤٣- حياة بلا روابط
٤٤- أنا والعولمة .. عالم بديل ممكن..
٤٥- جسدي سلاحاً
٤٦- ثالوث الشر
٤٧- الحضارة الإسلامية المسيحية
٤٨- أمريكا العظمي .. أحزان الإمبراطورية
٤٩- الطريق إلي السوبر مان
٥٠- مدربون علي القتل
٥١- معاداة السامية الجديدة

٥٢- إبادة العالم الثالث
٥٣- بيولوجيا الخوف
٥٤- لغز اسمه الألم
٥٥- تعليم بلا دموع
٥٦- أحمد مستجير
٥٧- العين بالعين
٥٨- شاڤيز
٥٩- قصص الأشباح
٦٠- حزب الله
٦١- الإنسان هو الحل
٦٢- السيارات المفخخة
٦٣- بلاكووتر
٦٤- حضارتهم وخلاصنا
٦٥- نحو الحرية .. نلسون منديلا
٦٦- العهد
٦٧- مزرعة الحيوانات
٦٨- أطفال الإنترنت
٦٩- لعبة الملايين
٧٠- تجارة الجنس
٧١- الأمريكي الساذج
٧٢- الأبرياء
٧٣- الشباب والجنس
٧٤- التربية من عام إلي عشرين عام
٧٥- فلورانس وإداورد
٧٦- الجهاد في سبيل الحقيقة
٧٧- غاندي(٢). رؤي. تأملات. اعترافات
٧٨- شرف البنت
٧٩- الزواج المحرم
٨٠- أنبياء مزيفون
٨١- إمبراطورية العار
٨٢- اختطاف أمريكا
٨٣- شريعة الجستابو
٨٤- رومانسية العلم
٨٥- اختفاء فلسطين
٨٦- من هم إسرائيل
٨٧- اقتصاد الاحتيال البرىء
٨٨- ثلاثون كتاب في كتاب
٨٩- الله.. لماذا؟
٩٠- الأمراض المعدية
٩١- الطريق إلي بئر سبع
٩٢- مجمع الشيطان
٩٣- في ذكري المقاومة
٩٤- خطايا تحرير المرأة
٩٥- دساتير من ورق؟
٩٦- صُناع الملوك
٩٧- صناعة الأكاذيب
٩٨- عندما تحكم الصين العالم
٩٩- الحركة العامة للاقتصاد المصري في نصف قرن
١٠٠- رحلة السندباد
١٠١- وجه أوباما الأبيض
١٠٢- تشي جيفارا سيرة للنشء
١٠٣- أنا افتراض.. أنا موجود
١٠٤- قصة فيس بوك

١٠٥- غواية الرجال

١٠٦- تأثير إيران ونفوذها في المنطقة

١٠٧- المعرفة في خدمة الهيمنة

١٠٨- البيتلز «سيرة للنشء ٣»

١٠٩- أسامة بن لادن «سيرة للنشء ٤»

١١٠- «كاليجولا» مسرحية من ٤ فصول

١١١- المسلمون الافتراضيون

١١٢- القاعدة نهاية تنظيم. أم انطلاق تنظيمات؟

١١٣- مافيا إخفاء الأموال المنهوبة

١١٤- الدولة الدينية فى اليهودية والمسيحية والإسلامية

١١٥- مُرشد الوالدين

١١٦- أجيال فى خطر

١١٧- العرب.. رواد الفكر الاقتصادى الحديث

١١٨- تركيا الأمة الغاضبة

١١٩- انقراض العالم الثالث

١٢٠ - الثورة العربية والثورة المضادة

أمريكية الصنع

١٢١- الأقصى ينهار

١٢٢- مرشد المحتجين والثوار

obeikandl.com

محتويات الكتاب

تمهيد: ٧

تمهيد ٢: الإسلاموفوبيا وأساسات «الحضارة الغربية»..... ١٥

مقدمة: ٣٥

الفصل الأول: شبكات السياسة الخارجية النخبوية ٥٧

الفصل الثاني: صحفيون، وأكاديميون أشرار و«مخبرون» محليون ١٠١

الفصل الثالث: «المخبرات» المحليات النساء والذرائع الأخلاقية لهيمنة الغرب... ١٤٣

الفصل الرابع: النشطاء والأساتذة في مواجهة قمع السلطة ١٨٥

الفصل الخامس: العيش في حالة من الخوف ٢١٣

الفصل السادس: الإسلاموفوبيا في عصر أوباما ٢٧٩

لاحقة: منظور مشهد القوة الأمريكية المتغير ٣٤٥

openkandil.com

obeikandl.com